

رحلة الراديو: من صندوق للموسيقى إلى فضاء للانترنت

Radio Journey: From a Music Box to an Internet Space

أ.د. السعيد بومعيزة*

ملخص:

تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على التحولات الكبرى التي عرفتتها الإذاعة قبل وبعد ظهور التلفزيون ، والاستخدام السياسي والعسكري للراديو خلال الحربين العالميتين ، خلال الحرب الباردة ، وتطوير تقنيات الاتصال الجديدة والصيغ الجديدة للراديو .

على الرغم من أهمية الراديو كوسيلة للاتصال الجماهيري ، إلا أنه لم يحظ بنفس الاهتمام الذي لقيه التلفزيون أو حتى الصحافة المكتوبة في مجال البحث الأكاديمي أو في استكمال الرسائل الجامعية ، إلا أن هذه الملاحظة تنطبق على الكثير من دول العالم.

إذا كان من الممكن اعتبار الملاحظة المذكورة أعلاه مشكلة في حد ذاتها ، فيمكن العثور على بعض الإجابات في بساطة تكنولوجيا الراديو ، وسهولة الوصول إلى محتويات الراديو وقربها من الطبقات الدنيا من المجتمع التي

* جامعة الجزائر 3

لا تحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة. وعليه فإن هذه الورقة هي عمل مكمل
لجهود الباحثين لتغطية هذا النقص.

الكلمات المفتاحية: الاذاعة، الشائبة القطبية، التكنولوجيات الجديدة،
الرقمنة.

Abstract :

This paper seeks to highlight the major shifts that Radio has known before and after the advent of television, the political and military use of Radio during the two world wars, through the Cold War, the development of new communication technologies and the new formats for radio.

Despite the importance of radio as a means of mass communication, it did not receive the same attention as that has been given to television or even the written press in the field of academic research or in the completion of university theses, this remark applies to almost all countries in the world.

If the abovementioned remark can be considered as a problematic in itself, some answers can be found in the simplicity of radio technology, the easy access to radio contents and its proximity to lower layers of society which do not need to know how to read and write, accordingly this paper is a complementary work to the efforts of researchers to cover this shortfall.

Key words: radio, bipolarity, new technologies, digitization.

تمهيد

لقد كانت الإذاعة، عبر عقود من الزمن، عاملا قويا ومهما في التاريخ الاجتماعي والثقافي في كل بلد من بلدان العالم. وما زالت الإذاعة، إلى يومنا هذا - على الخصوص في البلدان الانتقالية- تكتسي أهمية خاصة بالنسبة لعدة جهات ولاعتبارات مختلفة. كما أن الإذاعة في أي بلد كان هي انعكاس للبنيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في ذلك البلد وفي مرحلة تاريخية محددة. لكن هناك، أيضا، نوعا من المعيارية العالمية التي تميز الإذاعة والتي فرضتها التكنولوجيا المصممة في الأصل وأساسا للاتصال بين شخصين أو أكثر في أماكن مختلفة والفلسفة التي أعطت جوهرها للوظيفة الإذاعية في المجتمع. والتكنولوجيا والفلسفة متلازمتان، لأن التطابق التقني يتبعه دائما تطابق في المحتوى. في ميدان الإذاعة، يلاحظ أنه "سواء أنشئت محطة إذاعية في المناطق الاستوائية أو في ألاسكا، فإن وظيفة هذه المحطة تكون متماثلة إلى حد بعيد لتلك التي تقوم بها محطات موجودة في بقاع أخرى من العالم: الإعلام والترفيه والتثقيف والتلقين المذهبي".[†] لكن وبعيدا عن الحتمية التكنولوجية، فإن ظروف كل بلد، بطبيعة الحال، تضيف نوعا من الخصوصية والتميز على عمل الإذاعة.

[†]- Pierre MIQUEL, Histoire de le Radio et de la Télévision, Edition Richelieu, Paris, 1984. p.7

تجدر الملاحظة إلى أنه بالرغم من أهمية الإذاعة كوسيلة اتصال جماهيرية إلا أنها لم تحظ بالعناية المماثلة لتلك التي حظي بها التلفزيون أو حتى الصحافة المكتوبة في ميدان الدراسات والأبحاث الأكاديمية أو إنجاز الرسائل والأطروحات الجامعية، وهي ملاحظة تخص جميع بلدان العالم تقريبا، حسب علمنا. فهذا الأمر يعتبر في حد ذاته إشكالية تحتاج إلى تسليط للضوء عليها. لكن، يمكن أن تكون هناك بعض الإجابات على مستوى 'تواضع' الإذاعة مقارنة مع الوسائل الإعلامية الأخرى، وهذا بلغة التكنولوجيا غير المعقدة التي تحتاجها، والنفوذ السهل إلى محتوياتها، وقربها من الطبقات الدنيا التي لا تحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة. وعليه، فإن هذه الورقة هي محاولة تكميلية لجهود الباحثين لتغطية هذا النقص.

بعض المعالم في تاريخ الإذاعة

لقد عرف تاريخ الإذاعة حريين عالميتين مما أثر على مسار تطورها. الأولى عطلت ميلادها حين حولت تقنياتها لأغراض عسكرية؛ والثانية لعبت فيها الإذاعة دورا بالغا وكشفت عن نفسها كقوة لا يستهان بها في ميدان الدعاية والتعبئة السياسية؛ وفيما بعد كوسيلة للانعتاق من الاستعمار،* سيّما بعد أن

*- لعبت الإذاعة دوراً تعبويًا في حركات التحرر من الاستعمار، على غرار «إذاعة الجزائر الحرة» التي كانت تبث برامجها من تونس العاصمة إلى غاية أن استقلت الجزائر في 1962.

تجاوزت عائق الاستماع الثابت بفضل اختراع الترانزستور (1954)؛ ثم كأداة للتغيير الاجتماعي والثقافي في البلدان التي نالت استقلالها.[§]

والذي يراجع تاريخ الإذاعة لا يجد شخصا محددًا أو جماعة بعينها ابتكرت الإذاعة كما نعرفها اليوم، وإنما هناك العديد من الأسماء التي قادت تطورها. ** كما أن هناك أفكارا ظهرت مع الإذاعة وعمرت مدة زمنية طويلة، وبعضها إلى يومنا هذا. وأفكار أخرى سادت ولم تعمر طويلا. على سبيل المثال، كان (David Sarnoff) في الولايات المتحدة قد اقترح في عام 1916 استعمال الراديو مثل "صندوق موسيقى إذاعي" (radio music box) وأن يكون منفعة منزلية (household utility) وأُجِّلَت الفكرة إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى؛ والمعروف، أيضا، هو أن الأمريكي (Frank Conrad) يعتبر أول من نحت تسمية الإذاعة (broadcast).^{††}

§- معظم البلدان النامية سخرت الإذاعة لخدمة جهود التنمية للقيام بدور المعلم والمهندس الزراعي والطبيب، الخ.

1- الأسماء التي ترتبط باختراع الإذاعة هي:

Guglielmo Marconi, Nikola Tesla, Alexandre Stepanovitch and Jagadish Chandra Bose.

†† - OTRCAT CONCISE HISTORY OF RADIO .., at:
www.otrcat.com/history1.htm

[accessed:12-12-2006]

من جهة أخرى، تعتبر الرسالة التي بثت بتاريخ 30 أكتوبر (12 نوفمبر في التقويم الجديد) 1917 أول تسجيل في تاريخ الدعاية اللاسلكية الموجهة إلى الثوريين في أوروبا وفي روسيا قاطبة وفحواها: " لقد شكل المؤتمر العام الروسي للسوفييات حكومة سوفيائية جديدة. ولقد تمت الإطاحة بحكومة (Kerensky) وتوقيفه...".^{##} أما لينين، زعيم الحزب الشيوعي في ذلك الوقت، فقد اعتبر الراديو كنهج للضبط الاجتماعي للجماهير، وطريقة عملية وفعالة للاتصال مع الناس في كامل روسيا وكذلك في البلدان الأجنبية. وهذه الفلسفة تم تبنيها من قبل الكثير من الأنظمة السياسية في البلدان الانتقالية التي كانت تتبع النهج الاشتراكي. ولكن هذه الفكرة لم تعد، اليوم، عملية ولا فعالة في ظل التغيرات السياسية والتكنولوجية الجديدة.

* في ذلك الوقت كان مبدأ الراديو قائما على: (1) تذيع محطة الراديو إشارة المورس، (2) تتلقى المحطة المستقبلية الإشارة، (3) ثم توزع المحطة المستقبلية الرسالة إلى الجرائد التي تنشرها ليقرأها الناس.

^{##}-Lenny Zeltser , Early Stages of Soviet and American Radio Broadcasting. www.zeltser.com/radio-history - [accessed:12-12-2006]

- عندما شرعت الإذاعة في البث بروسيا كانت تسمى: " الجريدة الناطقة لوكالة روسيا التلغرافية"

إن الإذاعة قبل العشرينيات من القرن الماضي كانت حكرًا على الهواة الذين اعتبروها مجرد هواية- هؤلاء الهواة في الولايات المتحدة كان يشار إليهم بعبارة (ham radio operators). وعندما أنشئت أول محطة إذاعية في الولايات المتحدة عام 1920، كانت الفكرة من ورائها تهدف إلى تسويق التكنولوجيا، أي بيع التجهيزات، ولم يتم التفكير كثيرًا فيما سيثبت عبر هذه التكنولوجيا. في هذا السياق، يقول (Llewellyn White) " أن مؤسسي اتحاد شركة الإذاعة الأمريكية كانوا منشغلين بمن سيباع أجهزة التقاط الإذاعة أكثر مما كانوا مكترئين بما سيثبت عبر هذه الأجهزة العجيبة".^{§§} ولقد كانت الإذاعة في بداية العشرينيات من القرن الماضي وأثناء المرحلة الأولى من البث الإذاعي، " تخطى بنوع من التسامح على أساس أنها بمثابة لعبة أطفال، رغم أن الكثير من الجرائد كانت تملك محطات إذاعية".^{***} كما لم تكن لدى الرواد الأوائل فكرة واضحة حول كيفية تغطية نفقات الإذاعة وتكاليفها إلى الحد الذي جعل (David Sarnoff) مدير هيئة الإذاعة الأمريكية يقول أن الإذاعة تستحق هبات " مماثلة لتلك التي تتحصل عليها

§§ - Llewellyn White, "The growth of American Radio", in Wilbur SCHRAMM (ed), Mass Communication, Second Edition, University of Illinois, Urbana, 1975 pp39-43

*** - وليام ل. ريفرز، تيودور بيترسون وجاي و. جينسن، وسائل الإعلام والمجتمع، ترجمة

إبراهيم إمام، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص.213

المكتبات والمتاحف والمعاهد التعليمية".⁺⁺⁺ ولكن سرعان ما أدرك أصحاب المحطات الإذاعية أن مستقبل هذه الوسيلة التكنولوجية يكمن في الاتصال الجماهيري. وأصبحت كذلك بعد أن سمح لها ببث الأخبار والبرامج الترفيهية، ومن ثمة دخلت مرحلة النضج.

ولقد عرفت مرحلة العشرينيات من القرن الماضي إنشاء المحطات الإذاعية في معظم بلدان العالم. كما كان دخولها إلى المنطقة العربية مرتبطا بالظاهرة الاستعمارية، حيث أن المستعمر هو الذي أنشأ الإذاعة في البداية في الكثير من البلدان العربية التي كانت مستعمرة أو تحت الانتداب على غرار إذاعة مصر في 1920.⁺⁺⁺

مرحلة ما بين الحربين العالميتين

في مرحلة ما بين الحربين العالميتين أصبحت الإذاعة تكتسي أهمية بالغة أكثر فأكثر سواء في التربية أو في الدعاية. وفي واقع الأمر، أصبحت الإذاعة وسيلة

⁺⁺⁺ - نفس المرجع.

⁺⁺⁺ - بخصوص تواريخ إنشاء المحطات الإذاعية في البلدان العربية وظروفها، انظر: عبد الرحمان عزي، وسائل الإعلام والمجتمع الريفي: أزمة المنطلق وتمدد الرسالة، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وسائل الإعلام وأثرها في المجتمع العربي المعاصر، تونس. 1992. صص 178-

للوصول إلى جميع الأجيال في وقت واحد، وحتى الأميين، وحظيت بشعبية واسعة من خلال بث الموسيقى الدعائية وآخر الأخبار بدون انقطاع ومعظمها أخبار جيدة. كما تميزت الثلاثينيات من القرن الماضي بتوظيف الإذاعة لغايات دعائية، وهذا من طرف الأنظمة الشمولية في أوروبا- الشيوعية والفاشية والنازية؛ وخاصة، البث عن طريق الأمواج القصيرة لتصل رسائلها إلى ما وراء الحدود الوطنية، كما تم اللجوء إلى البث باللغات الأجنبية لأول مرة من أجل كسب عقول الشعوب وقلوبهم*.

لكن طريقة عمل الإذاعة كانت موضوع انتقادات من طرف نقاد الثقافة الجماهيرية الأوائل. وكان قد سبقهم إلى ذلك بنظرة تفاؤلية (Bertolt Brecht) الذي كتب في عام 1926 يقول: "إن الراديو ذو اتجاه واحد بينما ينبغي أن يكون في اتجاهين. فهو جهاز توزيع بالكامل، مجرد التقاسم. وعليه، فما هو اقتراح إيجابي: غيروا هذا الجهاز من التوزيع إلى الاتصال. وسيكون الراديو جهاز الاتصال الممكن في الحياة العامة والأفضل، وشبكة واسعة من القنوات. بعبارة أخرى، إذا ما عرف كيف يتلقى مثلما يرسل، كيف يجعل المستمع يتكلم وأيضا يستمع، كيف تكون له علاقة بدلا من عزله. فبخصوص هذا المبدأ، سينبغي على الراديو التخلي عن

عمل التوزيع وينظم مستمعيه كـمـمـونـين للمحتوى¹ ونستشف من خلال هذا القول أن بريخت كان سباقا للدعوة إلى فكرة الإذاعة التفاعلية.

مع نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، أصبح الاعتقاد راسخا لدى الناس بأن الإذاعة تمثل أداة تأثير قوية. ولقد تجلّى هذا الاعتقاد من خلال بث رائعة (H.G.Wells) 'حرب العوالم' التي اقتبسها وأخرجها للإذاعة (O.Wells) تحت عنوان 'الغزو من المريخ' في 30 أكتوبر 1938 على شبكة (CBS) بالولايات المتحدة.² حيث توهم المستمعون، الذين لم يستمعوا إلى تقديم التمثيلية في البداية، أن هناك غزوا حقيقيا من كوكب المريخ ووقع ارتباك كبير وفوضى عارمة وسط الذين كانوا يستمعون إلى التمثيلية. وأصبحت هذه الحادثة تؤخذ على أنها الدليل القاطع على تأثير وسائل الإعلام عموما والإذاعة بصفة خاصة. كما لعبت الإذاعة دورا بارزا فيما يسمى بأزمة ميونيخ والتجيش الذي سبق اندلاع الحرب العالمية الثانية. ويعتبر وزير الدعاية الألماني (Josef Goebbels) من بين أبرز

¹- Bertolt Brecht on radio & interactivity , at:
www.cityofsound.com/blog/2004/02/bertolt_brecht_.html [accessed:
10/9/2006]

² - بهذه المناسبة، اعتقد بجد الست ملايين مستمع إلى التمثيلية المسائية أن الولايات المتحدة كانت في حرب مع مخلوقات قادمة من كوكب المريخ. انظر:

S.LOWERY and M.L.De FLEUR (eds), Milestones in Mass
Communication Research, Longman:London, 1983, p.59-84

الفاعلين، إبان تلك المرحلة، في ميدان تسخير الإذاعة للدعاية حيث اعتبرها بمثابة الأداة الأكثر فاعلية للدعاية. وبالفعل كانت الإذاعة أداة حرب ووسيلة هامة في العمليات النفسية أثناء الحرب العالمية الثانية.

ففي أثناء الحرب العالمية الثانية وسعت البلدان المتحاربة (إيطاليا وألمانيا وروسيا وإيطاليا) من الخدمات الإذاعية، وأنشأت الولايات المتحدة إذاعة 'صوت أمريكا' الموجهة إلى الخارج في 1942.

وفي المنطقة العربية، إبان الخمسينيات من القرن الماضي، كانت الصراعات فيما بين البلدان العربية أحد العوامل المساعدة على تطوير الإذاعة مثلما حدث في العراق عام 1958، لتوجيه الدعاية ضد سوريا ومصر. +++ في هذا السياق، يشير أحد الباحثين إلى الظروف التي أدخلت فيها الإذاعة إلى بعض بلدان المشرق العربي قائلا: "فقد كانت ضغوط المنافسات الخارجية بشكل رئيسي بين دول متجاورة لإثبات نفسها بعد مغادرة البريطانيين هي التي حثت هذه الدول الصغيرة على استثمار البعض من ثرواتها النفطية في تسهيلات إذاعية. وقد اشترى هؤلاء الحكام أجهزة بث ضخمة وتجهيزات ستوديو خيالية واستقدموا المواهب الإذاعية لتوصيل صورة الاستقلال والسيادة والهوية الوطنية التي شعروا بحاجة دولهم الصغيرة إليها إلى العالم أكثر من توصيل سياساتهم الحكومية حول أمور محددة إلى شعوبهم. وقد

+++ وليام آيه ريو، الصحافة العربية: الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي، ترجمة موسى الكيلاني، مركز الكتب الأردني، د.م.ن، 1988، ص.173

اعتبر الحكام الإذاعات رموزا خارجية للسلطة أكثر من كونها أدوات داخلية للاتصال ولم يعتبروها بالتأكيد عوامل تغيير اجتماعي".^{****}

كما أدت الحرب الباردة إلى زيادة البث الإذاعي الدولي، حيث حاولت دول المعسكرين الشيوعي والرأسمالي التأثير في سكان بلدانهم. ومن أبرز الإذاعات الخارجية في تلك المرحلة البي بي سي الموجهة إلى الخارج وصوت أمريكا وإذاعة أوروبا الحرة/إذاعة الحرية الممولة والموجهة من طرف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.^{§§§§} وعلى المستوى العربي، لا بد من ذكر إذاعة 'صوت العرب' التي أنشئت في 3 جويلية 1953، والدور الذي لعبته أثناء ثورة التحرير الجزائرية. أيضا، لعبت الإذاعة دورا في الصراع بين بلدان الجنوب وبلدان الشمال من أجل إقامة نظام إعلامي دولي جديد في السبعينيات من القرن الماضي أساسا.

الإذاعة بعد ظهور التلفزيون

مع ظهور التلفزيون أفل نجم الإذاعة قليلا. وما أورده أحد الكتاب بخصوص هيئة الإذاعة البريطانية يمكن أن ينطبق على كل بلد تقريبا. حيث يقول وهو يصف أحد مظاهر التحدي الذي فرضه التلفزيون على الإذاعة ما يلي: "مع تحول الاهتمام بعيدا عن الإذاعة نحو التلفزيون، استقرت شبكة الإذاعة في ظل

****- نفس المرجع السابق ص.183

§§§§ -An Introduction to Psychological Warfare and Propaganda -
www.agitprop.org.au/stopnato/19990521intropsychowar.php -
[accessed: 2.10.2006]

العلاقات الجديد. ولقد كان هناك العديد من البرامج الجديدة بالاهتمام والمهمة التي كان يُستمع إليها بعناية، وحتى بتعلُّقٍ، من طرف الجماهير التي يمكن عدها أحيانا بالملايين. لكن التحدي والإثارة الناجمين عن العمل في وسيط جديد وفي توسع جذبا الكثير من أفضل العقول والأشخاص المتحمسين والمبدعين بعيدا عن الإذاعة (...). إلى داخل التلفزيون. وفي ظرف زمني قصير مثير للذهول اكتملت الثورة الداخلية وكان منتجو البرامج والتقنيون هم الذين أصبحوا النخبة المرجع داخل البي بي سي".**** وفي المرحلة الممتدة من 1955 إلى 1965 أعطت الإذاعة انطبعا واضحا لوسيط يميل إلى الأفول، وذلك بعد أن تحول المستمعون إلى مشاهدين. لكنها، استطاعت أن تتكيف وتستمر في البقاء. فهي صارت محمولة (مذياع الترانزستور). وبالتالي، أصبح الاستماع إلى الإذاعة يتم في البيت وفي المكتب وفي الشارع وفي السيارة وعلى الشاطئ؛ كما استطاعت أن تتخلى عن الحصاص الدرامية لصالح الموسيقى.

بطبيعة الحال، تهديد التلفزيون للإذاعة، في تلك المرحلة التاريخية، لا ينطبق على معظم البلدان الانتقالية التي لم يصل فيها التلفزيون إلى درجة التشبع بعد، بالإضافة إلى أن معظم السكان كانوا ما زالوا يسكنون في الريف؛ والوسيلة الوحيدة للاتصال بهم من طرف الحكام كانت وما زالت هي الإذاعة.

**** - Lord Windlesham, Broadcasting in a Free Society, Basil Blackwell: Oxford, 1980, p.107

الإذاعة وزوال القطبية الثنائية

مع زوال القطبية الثنائية، الكثير من الدول قلصت من مدة البث الإذاعي الدولي واللغات الأجنبية التي كانت تستعملها، أو أعادت التركيز على إذاعات بلغات محددة. والنزعة اليوم هي نحو إقامة قنوات التلفزيون الدولي (مثلا: BBC World, NHK World) وأخبار مواقع الانترنت. وتخلت بعض الإذاعات الدولية نهائيا عن الموجات القصيرة وتوجد فقط على الشبكة الدولية مثل الإذاعة الدولية السويسرية.

وتجدر الإشارة إلى أن رياح التغيير السياسية والتكنولوجية قد اجتاحت، خلال العشرية الماضية، معظم بلدان العالم التي كانت في السابق منغلقة إعلاميا وأجبرتها على الانفتاح ولو بدرجات متفاوتة. كما يشير إلى ذلك (Régis Debray) قائلا : " أن الوساطات السياسية الشمولية لم تقدر على مقاومة ديمقراطية الصورة والصوت".++++

++++ - Régis Debray, Cours de médiologie générale, Gallimard, 1991. in Fouad Benhalla, Democracy via the Media. at: www.african-geopolitics.org/show.aspx?ArticleId=3483 - [accessed 12-10-2006]

وبرغم اندحار الحرب الباردة، إلا أن حرباً أخرى عوضتها ودشتها القوى الغربية في مواجهة مع الحضارة العربية الإسلامية، أو ما تم التعبير عنه في الغرب بـ 'صدام الحضارات'. ووسائل الإعلام هي من بين أسلحة هذه الحرب. ولم يتوان بعض المنظرين الإيديولوجيين الغربيين في الترويج لاستعمال الإعلام في هذا الصراع. في هذا السياق، دعا أحد المنظرين اليمينيين (Newton N. Minow) إلى ضرورة "الالتزام الكامل من طرف حكومة الولايات المتحدة بالمعركة في ميدان الإعلام على المستوى الدولي، من أجل ترقية الديمقراطية والحرية".^{****} واقترح إنشاء شبكات إذاعية وتلفزية موجهة إلى الأجيال الجديدة، وخاصة في العالم العربي. والصراع في رأيه هو 'بين فكرة وسائل الاتصال الجماهيري وفكرة الدمار الشامل'. وينصح حكومته باستعمال وسائل الاتصال الجماهيري لمحاربة 'دعاة الدمار الشامل'.^{§§§§§} ويبدو أن الولايات المتحدة عملت بالنصيحة، حيث أنشأت، قبل شن الحرب على العراق، إذاعة 'سواء' أو (Sawa). وهكذا، تظهر الإذاعة أنها ما زالت الأداة الدعائية، بدون منازع، خاصة في أوقات الأزمات، وبصفة خاصة في المجتمعات الشفوية.

الإذاعة وتكنولوجيات الاتصال الجديدة

****- Newton N. Minow, USA TODAY, March 20, 2002, in Fouad Benhalla..., Ibid

§§§§§ - Ibid

إن التطور التكنولوجي في الإذاعة أدى إلى إحداث تغييرات فيها على عدة مستويات: تحديد أنماط البرامج واستخدامات الراديو وأساليب الاستماع. وأصبح التزاوج بين خدمات المعطيات بمختلف أنواعها والإذاعة واقعا ملموسا. وأصبحت أجهزة التلقي الآن متعددة الوظائف: يمكن استعمالها لقراءة البريد الإلكتروني أو الصحافة اليومية، أو إيجاد مكان لركن السيارة كما سماع الموسيقى والأخبار.

من جهة أخرى، فإن حجم العرض الهائل يفوق قدرات الفرد على استهلاك كل ما يُعرض من ناحية، ومن ناحية ثانية توجد أمامه فرص للاختيار لم يعهدها من قبل. كما أن البرمجة المركزية التي تتميز بها الإذاعة التقليدية لم تعد تحدد الجدول الزمني اليومي للأفراد، فبمقدورهم اليوم بناء شبكات برامجهم الخاصة بفضل برمجيات الإبحار والبحث.

كما أن الاستهلاك أصبح فردانيا وتفاعليا. وبالتالي، عدل من الاستماع الخطي التقليدي، ومن مفهوم الجمهور الحاشد، إذ أن جمهور الإذاعة الحديثة أصبح مشتتا أكثر. فاليوم، أصبح الراديو تحت الطلب واقعا ملموسا، والإذاعة صارت دولية أكثر. بعبارة أخرى أصبح جهاز الراديو الرقمي متعدد الوسائط، وإذا كانت الإذاعة تطبق الوسائط المتعددة فيمكن الاستماع إليها عن طريق العديد من الطرفيات كالتلفزيون والهاتف النقّال والحاسوب و iPod .

الأشكال الجديدة للإذاعة

على ضوء ما استعرضناه من تطورات في تاريخ الإذاعة، تجدر الإشارة إلى أن الإذاعة اليوم أصبحت تظهر في أشكال جديدة ويمكن تبسيطها من خلال تقسيمها إلى أربعة أصناف:*****

– نظام المعطيات الإذاعية: (RDS (Radio Data system

لقد تم تطبيق التكبيس الرقمي أولا في البث الإذاعي كأداة لدعم إذاعات التشكيل الترددي، وأصبحت متوفرة مع بداية التسعينيات من القرن الماضي. وتستعمل حوامل فرعية على موجة التشكيل الترددي (FM) – تلك الأجزاء من

-Henssen Digital Radio...The digitization...systems.

at:

www.hessendigitalradio.de/english/contents/news/news_2005_popup.html [accessed:12/10/2006]

الإشارة التي هي غير مسموعة بالنسبة لأذن الإنسان - لحمل معطيات رقمية تظهرها شاشة العرض بالسائل البللوري في جهاز التلقي (Liquid Crystal Display) أو يمكن استعماله لوظائف أخرى. مثلاً، كل محطة إذاعية FM ترسل شفرة هوية برنامج على الحامل الفرعي (Programme Identification Code) وهذا يسمح بظهور اسم المحطة على جهاز الراديو ذي شاشة العرض بالسائل البللوري.

أيضاً، يسمح لجهاز راديو السيارة بإعادة التقاط الإشارة الأمثل آلياً عندما تنتقل السيارة من منطقة إلى منطقة أخرى. كما يسمح للمستعمل بتعديل جهاز الراديو لالتقاط إعلانات خاصة بحركة المرور كلما ظهرت على محطة أخرى. وشفرة نوع البرنامج على الحامل الفرعي تتيح للمستمع أن يسأل الراديو للبحث عبر الموجة لكي يجد نوعاً محدداً من البرامج (موسيقى، رياضة، أخبار الطقس، الخ..). إذا كان أحد البرامج قيد البث أو ينتقل إلى ذات البرنامج عندما يبدأ.

- نظام إذاعة الساتل والكابل: Satellite and Cable Radio

لقد بدأ شكل جديد من الإذاعة في العمل منذ مدة: القنوات الإذاعية الموجودة عن طريق خدمات الكابل وسواتل البث الإذاعي المباشر. في هذا النوع من الإذاعات وإذا كان جهاز الراديو ملائماً يمكنه إظهار مراجع كل مسار

والقرص المدمج على الشاشة. وهنا عدد المحطات الإذاعية مضاعف بأعداد معتبرة. ويمكن التقاط باقات من المحطات الإذاعية الموسيقية أساسا، ويقدم جهاز الراديو معلومات عن المغني والأغنية ومعلومات أخرى تظهر على الشاشة. ف قنوات الكابل والساتل تقدم خدمات موسيقية التي يتحصل عليها الكثير من المستمعين من إذاعة التشكيل الترددي (FM)، والفرق هو أن المستمع يستطيع وضع شبكة برامج خاصة به انطلاقا من عدد الصيغ (formats) المتوفرة. فهذه التكنولوجيا تعتبر خطوة هامة في سبيل التفاعلية والتخصيص وفردانية الاستهلاك.

– نظام الإذاعة السمعية الرقمية: DAB (Digital Audio Broadcasting)

أولا، في هذا النظام الإذاعي الجديد، ينبغي تحديد حظيرة أجهزة التلقي لكي يتم التقاط إشارة الإذاعة السمعية الرقمية، لأن الأجهزة القديمة غير ملائمة. والإذاعة الرقمية لها القدرة على تحويل اللاسلكي إلى شيء يشاهد ويقرأ ويستمع إليه. وهي تقدم نفس نوعية الصوت الذي نسمعه في القرص المدمج، فلا يوجد تشويش، أو انقطاع في الصوت أثناء رداء الطقس أو عندما تضعف الإشارة. كما أن النوعية تكون متساوية عند الالتقاط في راديو السيارة أو أجهزة الراديو المحمولة أو الثابتة. من جهة أخرى، تُعرّف ترددات مبسطة باسم المحطة الإذاعية، وإعادة الالتقاط الأمثل والآلي عند الضرورة. وبالتالي، سهولة استعمال الجهاز،

ومحطات أكثر حيث أن ترددا واحدا وإشارة واحدة بإمكانهما بث ست محطات
إذاعية.+++++

ومن بين خدمات هذا النظام إمكانية سماع نشرة إخبارية فاتت،
معلومات عن البورصة وأحوال الطقس وحركة المرور والنتائج الرياضية والإعلانات
الاشهارية. وكل هذا يظهر على شاشة العرض بالسائل البللوري. كما يمكن
لأجهزة الراديو الرقمي قبول البطاقات البنكية الشخصية. وعليه، يستطيع المستمع
أن يشتري ما يريد في مجال الموسيقى والرياضة، والدفع حسب الطلب. أخيرا، بما
أن جهاز الراديو الرقمي شبيه بالحاسوب، فيمكن، إذًا، استعماله لولوج الانترنت
واستقبال الرسائل الالكترونية والفاكس. بعبارة أخرى أصبح جهاز الراديو الرقمي
متعدد الوسائط.

- إذاعة الانترنت : Radio on the Net

في الوقت الحالي، معظم محطات الإذاعة التقليدية لها مواقع على الشبكة
وتقدم برامجها بانتظام، وبفضل حاسوب الوسائط المتعددة يمكن الاستماع إلى

+++++ - Digital audio broadcasting, From Wikipedia, the free
encyclopedia. at:
http://en.wikipedia.org/wiki/Digital_audio_broadcasting.
[accessed: 2/12/2006]

برامجها مثلما هو الاستماع إلى الإذاعات التماثلية (التناظرية). وهي نوعان: هناك محطات البث الفوري (simulcast) - محطات إذاعية أرضية تبث نفس المحتوى على الشبكة، وهو محتوى مباشر من استوديو الإذاعة. وبعض الإذاعات تقدم محتوى قناة جانبية إضافية، وهذا متوفر في مواقع الواب فقط. وهذا المحتوى، نموذجيا، يتمثل في حوارات وبرامج مذاعة من قبل، وملفات سمعية مؤرشفة لغرض التحميل وفق ما يساعد المستمع واختياره ثم يستمع إليها. *****

ثم توجد إذاعات انترنات فقط. بمعنى ليس لها وجود أرضي وجمهورها هو ذلك الذي يلج مواقع الواب ويستمع إلى برامجها. وهذا النوع من الإذاعات يعد بالآلاف وفي تزايد باستمرار. كما توجد بعض محطات الانترنات الصغيرة التي لا تملك سوى محتويات أرشيف على مواقعها، وعليه فبدلا من الاستماع إلى محطة إذاعية في الزمن الحقيقي، يتم الاستماع إليها في زمن مؤجل. كما توجد محطات إذاعية فردية مشحصنة.

وهناك ما يسمى بالقنوات الموسيقية المؤتممة أو 'المحطات المؤتممة' (automated stations) وهي محطات موسيقية فقط وبدون منشط (Dj) ولا إعلانات وبدون كلام ملفوظ. ويدفع المستمعون اشتراكا، ويمكن أن توجد في شكل باقة من الإذاعات حوالي خمسين قناة، ولها عدد من القنوات المتوفرة على الشبكة. كما توجد محطات إذاعية 'اسمع- شاهد'. حيث تستعمل بعض المحطات الإذاعية كامرات الواب باستوديو الإذاعة لإرسال صور الإنتاج المباشر على مواقع

*****- Alan Beck, What is Radio - Monograph -at:
www.kent.ac.uk/sdfva/rp/sec1.html [accessed:5/10/2006]

الشبكة، وحتى على شاشة التلفزيون أيضا. حيث توجد كامرا تلفزيون بداخل الاستوديو تركز على المنشط أو أي شخص آخر وهو يتحدث مباشرة مركزا على الكامرا، أيضا. §§§§§§

ومن ميزات إذاعة الانترنت أنها ليست مقيدة بالجغرافيا مثل الإذاعة التقليدية. وهي تستعمل في الواقع لتوسيع نطاق المحطات الإذاعية العادية، الوطنية أو المحلية. بحيث يصبح ممكنا للمستمع أن يستمع إلى محطته حيثما كان ومتى شاء، إذا كانت تبث عبر الانترنت. كما يمكن الاستماع إلى إذاعة الانترنت في بنايات حيث يكون التقاط إشارة الإذاعة العادية رديئا. §§§§§§

وتقدم إذاعة الانترنت معلومات نصية وبيانية وفيديوية تكميلية للبث الإذاعي، بالإضافة إلى إمكانية التفاعلية ورجع الصدى بالنسبة للمستمعين.

§§§§§§ - Ibid

***** - Debra Beller, How Internet Radio Works
at: <http://www.verizon.com/learningcenter> 2001. [accessed: 2/12/2006]

- Internet Radio, at: www.teamcombooks.com/mp3handbook/3.htm - [accessed: 2/12/2006]

فمعظم إذاعات الانترنت تظهر اسم الأغنية والمغني طيلة بث الأغنية، كما يمكن أن تظهر رسومات بيانية خاصة بالألبوم والكلمات مع وصلة للاتصال بالمغني. ويستطيع المستمع أن يشتري الأغنية أو الألبوم في الحين. وبعض المواقع مثل (Imagine Radio) تسمح بإنشاء محطة إذاعية شخصية، التي يمكن تخصيصها باختيار الرنين وأنواع الموسيقى التي يريد الاستماع إليها.

على سبيل المثال، موقع الواب لـ (AOL's Spinner.com) يقدم أكثر من 100 محطة إذاعية ومختارات لأكثر من 150.000 أغنية. فمثل هذه المواقع الكبيرة تقدم ترتيب الأغاني وأخبار الصناعة ومحتويات أخرى متعلقة بالموسيقى. وتعمل مواقع أخرى كمجمّع (تجمع وتوزع) لكل من المحطات الإذاعية التقليدية ومحطات الانترنت فقط. وتعرض معظم مواقع إذاعات الانترنت الكبرى إعلانات رأسية (banner ads) ولكن أغلبيتها تتجنب قطع الموسيقى، وقليل منها يقدم إعلانات مجانية مثل (Green Witch). ونظرا لمتطلبات الانترنت الخاصة بالتشبيك، ما زالت إذاعة الانترنت غير محمولة بعد مثل الإذاعة التقليدية. ولكن مع بداية ظهور الحواسيب المحمولة والهواتف الجواله فإن هذه العقبة سيتم تخطيها على نطاق جماهيري في المستقبل القريب جدا. والمشكل الذي يصادف إذاعة الانترنت الآن، وهو أكبر من سرعة الربط للمستخدمين الأفراد، هو إذاعة الصوت (والفيديو) على الانترنت الذي يرسل بأسلوب البث الإذاعي الأحادي (unicast mode) - وهو غير فعال بدرجة كبيرة. ففي البث

الإذاعي الأحادي، يتلقى كل مستمع أو (مشاهد) بث إذاعي منفصل. فال محطة التي لها 500 مستعمل مشبك سوف ترسل 500 نسخة من نفس البث الإذاعي. لكن من المتوقع أن يتم تجاوز هذه العقبة في المستقبل القريب من خلال تقديم بث إذاعي متعدد ويستقبله مستمعون كثيرون وستنافس الإذاعات التقليدية. ++++++

هكذا بعد هذا العرض البانورامي لبعض المعالم في تاريخ تطور الإذاعة، نلاحظ أن الإذاعة مرت بمراحل تاريخية محددة بدأت بالشك في قدراتها كوسيلة اتصال جماهيري، لكن وبفضل إبداع محبيها أثبتت العكس؛ وكيف أنها كانت الوسيلة بدون منازع في ميادين الدعاية أثناء الأزمات، والتربية والتعليم والترفيه في أوقات السلم؛ وكيف استطاعت أن تواجه أهم التحديات التي فرضها التلفزيون عليها من خلال التكيف مع التغيرات التكنولوجية نظرا لبساطة تقنياتها بالمقارنة مع وسائل إعلام أخرى؛ ثم ورغم الشك لدى البعض بخصوص مستقبلها جراء تطور تكنولوجيات الاتصال الجديدة، إلا أنه ما زال بإمكانها مواجهة التحديات، وفضلا عن ذلك يمكن توظيفها حسب الأغراض السياسية.

كما حاولنا من خلال العرض السابق تقديم فكرة عن التطور الهائل الحاصل في ميدان الإذاعة، وكيف أن أنظمة البث الإذاعي أو الأشكال الجديدة

++++++- Ibid

للإذاعة توحى بأن هناك فعلا ما هو 'إذاعة'، وما 'يشبه الإذاعة'، و'ما لا يشبه الإذاعة' (الإذاعات المؤتممة).

وعليه، فالمطلوب اليوم، في رأي بعض الباحثين، معارف وتقنيات تحليل جديدة لفهم ظاهرة إذاعة ما بعد الرقمية. وبالفعل بدأت الآن دراسات الإذاعة تعالج موضوع الإذاعة المهجنة أو تهجين الإذاعة. والمهجنة تقع عندما يتخطى البث الإذاعي حدوده أكثر فأكثر، ويتحدى الهويات المعروفة للإذاعة.*****

لكن الإمكانيات التكنولوجية الهائلة هي التي ستبقي على فرص البقاء للإذاعة مدة أطول ومواجهة التحديات في كل مرة بإبداع وروح خلاقية أكثر بفضل محبيه ومهنييها. وهكذا، أيضا، مرت الإذاعة من مرحلة الشك في قدرتها على البقاء إلى مرحلة الدعاية على أوسع نطاق فمرحلة الإذاعة المؤتممة التي لا تشبه الإذاعة التي عهدتها الناس، وربما غدا نتعرف على نموذج آخر من الإذاعة بفضل التطور المتسارع لتكنولوجيات المعلومات والاتصال.

***** - Jo Tacchi, "The need for radio theory in the digital age", International Journal of Cultural Studies, Vol 3 (2), 2000. pp.289-298.
cited in: Alan Beck, What is Radio..., op.cit